(تأملات في سورة الطور)

الحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شعاراً ودثاراً ولواء أهل التقوى ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله .صفيه من خلقه، وأمينه على وحيه . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى سائر من اقتفى أثره واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين ....أمابعد .أيها الأخوة المؤمنون والأخوات المؤمنات هذا هو اللقاء الثاني في هذه الدورة العلميه نسأل الله جل وعلا أن يبارك فيها وفيما يلقى فيها من دروس نافعه وهذا اللقاء خاص اليوم بتأملات في سورة الطور وهي سورة مكيه تناولت أصول العقيده الثلاث .....

ـ الوحدانيه

ـ إثبات الرساله

ـ البعث والجزاء

وهذه السوره السورة بدأت بقسم على صدق البعث والجزاء وانتهت بالأمر لنبينا صلى الله عليه وسلم بأن يصبر وأن يقرن ذلك الصبر بالتسبيح كما أن هذه السوره الكريمه ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بها في صلاة المغرب كما في حديث جبير ابن مطعم رضي الله تعالى عنه وأرضاه لما قدم المدينه يسأل النبي صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر فسمع النبي علية الصلاة والسلام يقرأ بها أي بسورة الطور في صلاة المغرب فكأنما كاد أن ينصدع قلبه كما أخبر بعد ذلك رضي الله عنه وأرضاه أما تفسيرها فإننا نقول ومن الله نستمد العون نستعدفع نقمته ونستجدي رحمته قال ربنا جل جلاله (والطور* وكتاب مسطور *في رق منشور * والبيت المعمور *والسقف المرفوع *والبحر المسجور *إن عذاب ربك لواقع *ماله من دافع)هذا قسم من الله جل وعلا كما مر معنا في ليلة أمس في قسم الله تبارك وتعالى ببعض مخلوقاته فأقسم ربناجل وعلا بالأمس في سورة الذاريات"بالذاريات" وأتبعها بقسم هذه الألف واللام في الطور إما أن تكون للجنس. أخروفي هذه السورة يقسم الله جل وعلا بالطور والطور أيها الأخ المؤمن في الأصل في اللغه هو الجبل الذي فيه نبت وشجر يسمى طور فكل شجر أنبت فهو طور وكل شجر لم ينبت فليس بطور لكن وإما أن تكون للعهد فإذا قلنا إنها للجنس فشاملة للجميع الجبال التي عليها نبت عليها شجر وإن قلنا إنها للعهد فإن المعهود هنا معهود ذهني وليس معهود لفظي ولماذا قلنا ليس معهودا لفظيا؟ لأنه ليس قبل هذه الآيه شيء . وإنما هو معهود ذهني مستقر في الأذهان والمعهود

الذهني المستقر في الأذهان المتعلق بالطور هو الجبل الذي كلم الله جل وعلا عنده عبده ونبيه وصفيه موسى ابن عمران عليه السلام. قال الله جل وعلا (وناديناه من جانب الطور الأيمن*وقربناه نجيا) وقال الله تبارك وتعالى (وماكنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسي الأمر) وقال تبارك وتعالى في ءايات أخر سماه الله جل وعلا البقعه المباركه وسماه الله تبارك وتعالى الوادي الذي فيه هذا الجبل قال الله جل وعلا (واخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى) هذا كله إخبار بأن الأرض التي فيها الجبل أرض مقدسه وهي طور سيناء وأن الجبل نفسه جبل مبارك كما أخبر الله جل وعلا لأن عند هذا الجبل نزل الوحي على رسول من أولي العزم من الرسل هو موسى ابن عمران وكلمه الله جل وعلا ونال موسى لذلك المكان المبارك مانال من فيض الله جل وعلا ورحمته وبركاته على ذلك النبي والصفي والكريم صلوات الله وسلامه عليه... إذاً يتحرر أن الطور في قول أكثر العلماء المقصود به هنا/ الجبل الذي كلم الله عنده موسى فهذا القسم الأول .. ثم قال جل وعلا (وكتاب مسطور* في رق منشور) جاءت كتاب منكره نكره فليست معرفه حتى نقول هل هي للعهد أو نقول هل هي للجنس لذلك اختلف العلماء رحمهم الله في المقصود بالكتاب هنا وأظهر الأقوال ينصرف إلى قولين .

القول الأول :ـ قول أن المقصود بالكتاب اللوح المحفوظ .

القول الثاني :ـ هو الأشهر أن المقصود به كتاب الله القرآن الكريم الذي بين أيدينا (وكتاب مسطور) أي مكتوب سطِّر بمعنى كتب (في رق منشور) الرق بفتح الراء مايكتب عليه والأصل أنه في الغالب يؤخذ من الجلد وكل شيء كتبت عليه من الصحف أو الورق يسمى رق أما الرق بكسر الراء فهذه في العبوديه واللملك ويؤخذ ويكتب عند الفقهاء في قضية الرقيق وما أشبه ذلك. أما رق بمعنى شيء مكتوب وسواء قلنا إنه اللوح المحفوظ أوقلنا إنه القرآن الكريم كلاهما مكتوب كما هو معلوم أن الله أول ماخلق خلق القلم فقال له اكتب كما في الحديث الصحيح . والمقصود من هذا الأظهر أن المقسم به هنا هو كلام الله (وكتاب مسطور*في رق منشور) ثم قال جل وعلا(والبيت المعمور) وهذا القسم الثالث البيت المعمور: هو بيت في السماء السابعه على أظهر الأقوال.قال العلماء فيما نقل من آثار يعضد بعضها بعضا أن هذا البيت موازي على الكعبه لو سقط منه شيء سقط منه شيء على الكعبه والعلماء منهم من يقول إن البيت المعمور :ـ المقصود به هنا الكعبه نفسها لأنها تعمر بالطائفين

والعباد والراكعين والساجدين وما يكون حولها لكن في هذا السياق نرجح أنه البيت المعمور في السماء السابعه.لأن البيت المعمور بهذا النص بهذه التسميه وردت في الحديث قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح في قضية الإسراء والمعراج (فإذا أنا برجل قد أسند ظهره إلي البيت المعمور) يقصد خليل الله إبراهيم،فلما ورد في السنه أن البيت المعمور هو بيت في السماء السابعه وجاء في أثر آخر أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يسبحون الله لا يعودون إليه إلى يوم القيامه. قلنا إن الأرجح أن يكون المقصود بالبيت المعمور هنا هو البيت الذي في السماء السابعه وقلنا ثمت رأي يقول أن البيت المعمور المقصود به الكعبه وكلا القولين وجيه لكن الأول فيما نعلم والله أعلم هو أرجح وهو قول أكثر المفسرين رحمهم الله . والذي يعنيننا أن الرب تبارك وتعالى لا رب غيره ولا إله سواه يعبد في الأرض ويعبد في السماء. وهذا معنى قول الله جل وعلا(وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) أي هو إله من في السماء وإله من في الأرض،وأنت إذا قرأت مثل هذه الآيات وعلمت أن الله يقسم بالبيت المعمور وأن هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك وأنه في السماء السابعه وأن الله جل وعلا يعبد تعلم يقينا أنه كم من عبد صالح غيرك يعبد الله لكن ليس لك ولا لغيرك إلا الله.فاالله جل وعلا غني عن كل خلقه بلا استثناء وكل خلقه بلا استثناء فقير إلى الله شاء أم أبى. فكل الخلق فقراء إلى ربهم تبارك وتعالى (ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد)وهذا الذي يتركه أثر القرآن إذا تلوناه وقرءناه في نفوسنا.(والسقف المرفوع) السقف المرفوع:ـ أظهر الأقوال أن المقصود به السماء وهي مرفوعة عن الأرض وقد زينها الله جل وعلا بالنجوم وقد مر معنا في دروس سابقه أن الله جعل لها أبواب وجعل لها طرائق وجعل لها خزنه. قال عليه الصلاة والسلام(وطئت السماء وحق لها أن تئط والله مامن موضع أربعة أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصعدات تجئرون إلى الله) جعلنا الله وإياكم ممن يخاف رغبا ورهبا.فالمقصود أن السقف المرفوع هو السماء وقد قال الله جل وعلا في آية أخرى(وجعلنا السماء سقفا محفوظا) والآيه إذا أردت أن تفسرها ووجدت لها قرائن تعضدها في كتاب الله فهذا دلاله وقرينه على أنك أقرب إلى الصواب لكننا لانجزم بشيء في الغالب إلا ماثبت عن رسولنا صلى الله عليه وسلم أوأجمع عليه الصحابه أوأجمعت عليه الأمة جمعاء.(والبحر المسجور)ثم أقسم الله

تبارك وتعالى بخلق عظيم من خلقه هو البحر, والبحر من أعظم مخلوقات الله تبارك وتعالى بلاشك إذا رأه الرائي يتذكر عظيم قدرة الجبار تبارك وتعالى وقد نعت الله البحر هنا بأنه مسجور وكلمة مسجور تحتمل معنيين .
المعنى الأول:ـ أن يكون المملوء وهذا ظاهر المسجور بمعنى المملوء أي مملوء ماء وهذا ظاهر لاارتياب فيه.
والمعنى الثاني:ـ أن يكون المسجور بمعنى الموقد الذي يشتعل نارا .فإذا اخترنا الرأي الثاني وقد اختاره كثير من العلماء يكون المعنى أنه مسجور متى؟ يوم القيامه لأنه الآن ليس بمسجور فيما نرى وقد قال الله جل وعلا(وإذا البحار سجرت) أي أوقدت وقول الله جل وعلا إذا البحار سجرت قرينه على أن المقصود بالبحرالمسجور/البحر الموقد. لكن قلنا لانجزم به. البحر الموقد،واللغة تحتمل المعنيين،والمقصود من هذا كله قسم من الرب تبارك وتعالى ببعض مخلوقاته جل وعلا ببيان أن البعث والجزاء حق وبيان على وجه الأخص أن ما وعد به الكفار من العذاب كائن لا محاله ولهذا كان كثير من العصاه يخوف بصدر سورة الطور . كان كثير من العصاه يخوف ويرقق قلبه ويدعى إلى الله بقراءة سورة الطور عليه لأن الله يقول (والطور*وكتاب مسطور*في رق منشور*والبيت المعمور*والسقف المرفوع* والبحر المسجور*إن عذاب ربك لواقع*ماله من دافع) فأي أحد يعصي الله جل وعلا لن يحول بينه وبين عذاب الله شيء إلا أن تتداركه رحمة الرب تبارك وتعالى .ولذلك جبير ابن مطعم هذا لم يكن مسلما كان قرشيا كافرا في أول الأمر فلما قدم إلى المدينه للنظر في أسارى بدر والتفاوض دخل المدينه فسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بالطور والنبي عليه الصلاة والسلام أندى الناس صوتا بقراءة القرآن فلما سمعه يقرأ القرآن فاجتمع صوت النبي مع مايتلوه فلما قال:(إن عذاب ربك لواقع) قال خفت أن ينصدع قلبي وءامنت خوفا من أن يقع علي العذاب والمؤمن يعلم أن وعد الله حق فمن عصى الله يبقى في خوف إذا كان الله نعت المؤمنين بأنهم خائفون من ربهم فما بالك بالعصاه أعاذنا الله وإياكم من ذلك كله .(إن عذاب ربك لواقع* ماله من دافع) والعصاه يوم القيامه لا يمكن أن يدفع عنهم عذاب الله جل وعلا أحد كائنا من كان لا شفيع ولا قريب ولا مال ولا ذو سلطان مماهو مقرر شرعا لايكاد يجهله مؤمن.(إن عذاب ربك لواقع*ماله من دافع)متى يكون هذا؟قال الله بعدها والقرآن محكم ءاياته يمهد بعضها لبعض قال الله جل وعلا(يوم تمور السماء مورا*وتسير الجبال سيرا)تمور السماء:ـ

تضطرب...تموج...تتحرك...والسماء تأخذ طبقات ثلاث في يوم القيامه .أول الأمر:ـ تضطرب،تتحرك،ثم بعد ذلك يموج بعضها في بعض ثم بعد ذلك تتبدل كما قال الله جل وعلا (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) وكذلك الجبال فإنها أول الأمر تسير كما يسير السحاب قال الله جل وعلا (وترى الجبال تحسبها جامده وهي تمر مر السحاب)في الحاله الثانيه:ـ يتغير لونها أخبر الله جل وعلا أنها تصبح كالعهن المنفوش ثم بعد ذلك تصبح منبثه كما قال الله جل وعلا (فكانت هباء منبثا)تضمحل تنتهي تدك كما قال تبارك وتعالى (ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا*فيذرها قاعا صفصفا* لاترى فيها عوجا ولاأمتا) وهذا كله هذه الأحداث تقديم بين يدي يوم عظيم يوم لايوم من جنسه مثله أبدا يجيء فيه الجبارجل جلاله مجيئا يليق بجلاله وعظمته ويحشر الناس على أرض بيضاء نقيه لم يعص الله جل وعلا فيها طرفة عين ويخرج الناس من قبورهم حفاة عراة غرلا بهما غير ممولين لا يملكون من متاع الدنيا شيء يلجمهم العرق.. تدنوا منهم الشمس، ويزدحم بعضهم من بعض، ومنهم من خصه الله بأن يظله الله تحت ظل عرشه جعلني الله وإياكم من أهلها. ذلك كله أخبر الله جل وعلا عنه بالتمهيد الذي كان ينكره المشركون (يوم تمور السماء مورا*وتسير الجبال سيراً) ثم أخبر الله جل وعلا في ءايات متتابعة أن الويل لأهل التكذيب وأنهم يساقون إلى جهنم في ءايات ظاهرة البيان حتى قال الله جل وعلا في سلوب تهكم بهم "أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون"والحق أنه ليس بسحر وهم يبصرون فلما انتفى الاثنان بقي الثالث وهو أنهم مايرونه حق عندما يواجه الكفارالنار يوم القيامة يقال لهم "أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون"وكلا الأمرين منتف فلا النار سحر ولا هم لايبصرون بل يبصرون النار ولذلك بقي الأمر الثالث وأنهم يبصرون النار عياذاً بالله .فيصيبهم من الكرب مالله به عليم حفظنا الله وإياكم وأجارنا من حرها وشررها ثم يقال لهم:"اصلوها"أي ذوقوا حرها "فاصبروا أولاتصبروا سواء عليكم إنما تجزون ماكنتم تعملون"واستوى الصبر و الجزع هنا لأنه قد تقرر عقلا ونقلا وشرعاً أن الإنسان إذا ابتلي بشيء فهو إما أن يصبر وإما أن يجزع، فإذا جزع خسرالعاقبه وإذا صبر نال العاقبه نال عاقبة الخير هذا إذا كان مؤمناً وإن كنا كافراً فإنه إذا جزع خسر وإذا صبر فإن صبره يهون عليه الأمر حتى إن أعداءه لايستطعيون أن يشمتوابه إذا كان صابراً لأنهم يرون أن هذا الكرب لم يغير فيه ولأن لهذا الصبر إذا تحلى به الإنسان مؤمناً أوكافر يعينه على قهر ما أصابه من بلاء ولو نسبياً. أصبح الصبر

ذا فضل على الجزع لكن يوم القيامه إذا دخل أولئك النار فالصبر والجزع بالنسبة لهم سواء فلاهم إن جزعوا يخرجون ولاهم إن صبروا يخرجون ولاهم إن جزعوا يخفف عنهم العذاب ولا إن صبروا يخفف عنهم العذاب ولذلك قال الله عنهم في آيه أخرى (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص) مايوجد مفر... مايوجد مخرج ...لايوجد لهم ملجأ، فالصبر والجزع يستويان في نار جهنم أعاذنا الله وإياكم منها ثم ذكر الله تبارك وتعالى بعدها مايكون لأهل الطاعه والنعيم حتى قال فيما قال ربنا جل وعلا قال (والذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتنا هم من عملهم من شىء كل امرئ بما كسب رهين) للعلماء رحمهم الله في معنى هذه الآيه قولان.......

القول الأول :ـ وهو الأظهر وعليه الجمهور أن يكون المعنى أن الله جل وعلا يكرم من علت درجاتهم من أهل الجنة بأن يلحق بهم من ذريتهم من قلت درجته عنهم فيرفع الله درجة الأدنى- وليس في الجنة دانٍ- إلى درجة الأعلى لتقرعينه دون أن يبخس من درجة الأعلى شيء فلو أن إنساناً دخل هو وأبنائه الجنة وكانت درجة الوالد أعلى من درجة الولد فإن الله يرفع الولد إلى مقام أبيه لتقرعين الوالد بولده دون أن يبخس شيء من حق الوالد. قال الله (وما ألتنهم من عملهم من شيء) والعكس إذا كان الابن في الأعلى والأب في الأدنى هذا القول الأول وهو الأظهر. القول الثاني :ـ أن معنى الآيه أن من المؤمنين من كان لهم أبناء ماتوا قبل البلوغ فليس لهم أعمال إلا الإيمان فلتقربهم أعين والديهم يرفعون إلى درجة أبائهم وأمهاتهم وليس القولين بعضهم عن بعض ببعيد ويمكن أن تحتوي الأيه كلا المعنيين ..والذي نريد أن نصل إليه إن من أعظم السعاده أن تدخل أنت وأهلك الجنة أنت ومن تحبهم في الدنيا وإن الله جل وعلا ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب وإنما هي الأعمال الرجل وزوجته وأبناءه وأمه وأبوه وإخوانه وإخوته وعماته وخالاته ومن حوله إذا كان بعضهم يحب بعضاً ويتمنوا أن يكونوا مجتمعين في الجنة كماهم مجتمعون في الدنيا فإن من أعظم ماينال به جميعاً تقوى الرب تبارك وتعالى فالذي يسعى في حيه أو في أسرته أوفي عائلته أو في مجتمعه الخاص يسعى لهدا يتهم إنما يسعى حقيقة لأن يجتمع بهم في الجنة ولقد قال الله (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) فكون الإنسان يجهد أولاً في نجاة نفسه ثم في نجاة من يحب هذا من أعظم القربات التي يتوصل بها إلى رحمة الرب تبارك وتعالى (والذين ءامنوا واتبعتهم

ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) بعض العلماء يقول تقف هنا وتأتي ءايه (كل امرىء بما كسب رهين) قال بعضهم هذه "كل امرئ بما كسب رهين" ليست خاصة بأهل الإيمان وإنما المقصود بها أهل الكفر ومعنى الآيه عندهم أي عند من قال هذا من العلماء قالوا: إن الإنسان قد يقرأ هذه الأيه فيتوهم أن مايجري من أحكام على أهل الجنه يجري على النار فقول الرب تبارك وتعالى (كل امرئ بما كسب رهين) يدفع هذا الوهم والمعنى أن أهل الجنه لايبخسون شيئاً لكن ينالهم فضل الله فقد يعطى رجل من أهل الجنه مالا يستحقه بعمله كأن يرفع الولد إلى منزلة والده أويرفع الوالد إلى منزلة ولده لكن في النار لايجري هذا الحكم فلايعذب أحد إلا بمقدار مايستحق وهذا معنى قول الله (كل امرئ بما كسب رهين) أي مرتهن بعمله، وقالوا إن الرهن لايأتي للمؤمنين والدليل أن الله جل وعلا قال (كل نفس بما كسبت رهينه * إلا أصحاب اليمين *في جنات يتسآءلون) وأياً كان المعنى فإنه معناً قوي يقصد به أن هذه التغير أريد به دفع الوهم (كل امرئ بما كسب رهين) ثم قال الرب تبارك وتعالى عن أهل جنته (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون*قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين*فمن الله علينا و وقنا عذاب السموم*إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) هذا يخبر الله فيه أن أهل الجنة يتذاكرون مجالسهم التي كانت في الدنيا وإنني أسأل الله بكمال جماله وعز جلاله أن يجعلنا وإياكم ممن يتذكر هذا المجلس في جنات النعيم فالله يقول (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) مؤمنون قد كساهم الله جل وعلا أعظم الحلل وأنزلهم الله جل وعلا أجل المنازل وأفاء الله تبارك وتعالى عليهم من رحمته ودفع الله جل وعلا عنهم كل نقمته يتسابقون بعضهم إلى بعض يتجاورون... يتخاطبون... فإذا جلسوا في مجلس لا لغو فيه ولا تأثيم يتذاكرون برحمة من الله وفضل مامنَّ الله به عليهم في الدنيا فنقل الله جل وعلا وهو أصدق القائلين نقل كلامهم الذي سيكون يوم القيامه جعلني الله وإيكم منهم فقال عنهم (وأقبل بعضهم) وهذا إقبال فرح (على بعض يتساءلون) فمما تذاكروه في الدنيا (قالوا إنا كنا) في الماضي (إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين) خائفين... وجلين... من عذاب الله تبارك وتعالى والله جل وعلا لايأمن مكره إلا القوم الخاسرون والله جل وعلا لايقنط من رحمته إلا الضالون فالمؤمن/ الخوف والرجاء بالنسبة له كجناح الطائر والله جل وعلا لو أوكلنا إلى أعمالنا لهلكنا ولكننا نسأل الله أن يكلنا إلى رحمته وفضله وعفوه فإن الدنيا لاتطيب

إلا بذكره جل وعلا، الدنيا لاتطيب إلابذكره والأخرة لاتطيب إلابعفوه والجنه لاتطيب إلا برؤيته سبحانه وتعالى،فالله يقول عنهم أنهم يقولون: (إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين) هذا الخوف الذي يعتريك ويتعري قلبك ويعتري قلب أختك المؤمنه في الدنيا هو سبب الأ من يوم القيامه أما من مشى ،انكب على ظهره ومشى يبحث عن الشهوات، وينقلب في الشبهات ويؤذي هذا، ويحارب هذا ويكفر بالله ويخرج من بار إلى بار، ومن حان إلى حانه ،ومن شاطئ عراة، ومن قناة إلى قناة ،ومن فضائيات إلى فضائيات إلى غيرها... يتلبس بالزنا واللواط والفواحش وغيبة العلماء أو غيبة الحكام أو أذية المسلمين أو أخذ الرشوه أو السرقه أو الزنا أو ما شابه ذلك من المعاصي ولا يخشى أحدا ولا يخاف ولا يرهب ومطمئن أن أحدا لن يتسلط عليه هذا لايمكن أن يأمن عند الرب تبارك وتعالى. الربيع ابن خثيم رضي الله عنه وقام الليل كله يقوم الليل يتلوا آيه واحده (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) وثبت في حديث صحيح عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قام ليلة واحده ليلة يقرأ آيه واحده من كتاب الله (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) ما زال نبينا صلى الله عليه وسلم يقرأها حتى قام الليل بها إلى أن طلع الفجر صلوات الله وسلامه عليه. فهذا الخوف الذي يملأ قلوبنا نفرح به لأن الخوف من الله جل وعلا أعظم وسائل نيل الأمن يوم القيامه قال سبحانه (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقال جل ذكره (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) ثم ذكر الجنه ونعيمها ثم قال (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يخافه سرا وإعلانا وغيبا وشهاده (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون*قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين*فمن الله علينا...) رحمه منه وفضلا وإحسانا ليس لنا فيه نصيب (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) لمـــــاذا؟ (إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) فدلت الآيه على أن الدعاء من أرجى الأعمال عند الرب تبارك وتعالى وكانت أم المؤمنين عائشه رضي الله عنها وعن أبيها وعن أمها تتأول القرآن فتدعوا فتقول:" اللهم قنا برحمتك عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم. لأن الله قال عن أوليائه (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم*إن كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) لما فرغ الرب جل وعلا في هذه السورة الكريمه من ذكر إثبات التوحيد وذكر مآل البعث والنشور بدأ جل وعلا يدافع عن نبيه صلى الله عليه وسلم فالقضية هنا

قضية إثبات الرساله فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) وهذا من أعظم دلائل تناقض الكفار فالمجنون هو الذي لا يفكر أبدا والكاهن صنعة تحتاج إلى نوع من الذكاء وإلى دقه وفطنه وهي كفر بالله لكن لا يجتمع إنسان مجنون وفي النفس الوقت يكون كاهن يستحيل هذا. ومن تناقض أهل الكفر أنهم نعتوا النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كاهن ومجنون وهاذان ضدان لا يمكن أن يجتمعان في إنسان واحد تقول إنسان بليد في الدراسه وأتى بالأول على زملائه هذا لايعقل على هذا الله جل وعلا يقول لنبيه فذكر... استمر في الدعوة إلى ربك والتذكير بآيات ربك... ولا تلتفت إلى ما يقول هؤلاء الكفار عنك (فما أنت بنعمة ربك) أي بفضل الله عليك ونعمته وإحسانه عليك ما أنت بكاهن ولا أنت بمجنون (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) وكيف يكون كاهنا أو مجنونا من يدعوا إلى الواحد الأحد جل جلاله هذا يستحيل عقلا ونقلا (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) كل كلمة "ريب" وردت في القرآن بمعنى الشك إلا في هذه الآيه فهي بمعنى حوادث الدهر كل كلمة "ريب" وردت في القرآن فهي بمعنى الشك (الم*ذلك الكتاب لا ريب...) أي لا شك فيه ولكنها هنا بمعنى حوادث الدهر ومنه قول أبو ذؤيب الهذلي.

أَمِنَ المَنُون ورَيبِها تَتَفجعُ

والدهر ليس بُمعتبِ من يجزعُ

وقول الأعشى:ـ

أأرت رجلاً أعشى أَضربه

ريب المنونَ ودهرٌ مفندٌ خَبِلُ

فريب هنا بمعنى: حوادث الدهر.جملة من القرشيين يقولون هذا شاعر والحل فيه أن نصبر عليه نتربص به حوادث الأيام إما أن يموت وإما أن يهلك وإما أن يصيبه تلف فيعجز كما عجز من قبله من الشعراء، هذا ظنهم والعياذ بالله. ثم أخذ الرب تبارك وتعالى يحاكم أهل الإشراك بإسلوب منطقي عقلي كما سيأتي وسنأخذه آية آيه لنبينه بجلاء (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون*قل تربصوا فإني معكم من المتربصين*أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون) بدأ الله الآن جل وعلا يسوق الإعتراضات ثم يذكرها وتفند واحدة واحدة.فيه فرق يأخي مابين العقل ومابين الذهن.لاتسألني أين العقل وأين الذهن أنا لست طبيب لكن يوجد شيء اسمه ذهن وشيء اسمه عقل،فالذهن الشيء الذي تفهم به،والعقل هو الشيء الذي تتصرف من خلاله.وسنأتي بمثال واضح.قد يأتي إنسان يقول له العامه ذهين،ذهين بمعنى ذكي

فطين فيستطيع أن يجري عمليه سرقه دون أن يكتشفه أحد فهذا يدل على ذكائه أو على عقله؟على ذكائه.لكن لايدل على عقل لأنه لوكان عاقلا لم يعص الله ولم يرمي نفسه في المهالك . فيوجد من القرشيين منهم أذكياء لكن لايمكن أن يكون هناك كافر يوصف بأنهم عاقل يستحيل ،لأنه من أعظم دلائل عدم عقله أنه كافر بالله.ولوكان له عقل لآمن بالله . فقد يكون كافر ذكيا فطنا كمن يصنع قنبله ،يصنع طائره... لكن لا يوصف بأنه عاقل .لكن لايمكن أن يوصف شخص كفر بالله وأنكر وجود الله يوصف بأنه عاقل هذا يستحيل أبدا.لأن العقل يدل على الرب تبارك وتعالى .فالله يقول هنا (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) أحلام هنا بمعنى عقول .ومنه قول حسان رضي الله عنه وأرضاه

لابأس بالقوم من طول ومن عظم
جسم البغال وأحلام العصافير

أحلام العصافير:ـ أي عقول العصافير.
فالله يقول إن كانت عقولهم تأمرهم بهذا فبئس العقل عقلهم إن كانوا يجعلون من يؤمن بالله واليوم الآخر ويدعوا إلى التوحيد شاعرا أو كاهنا أو مجنون (أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون) قيل (أم)هنا بمعنى(بل) يعني(بل هم قوم طاغون) طغوا وتجاوزالحد فيما يقولونه . ثم قال جل وعلا (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون) (أم يقولون تقوله) معناها:ـ أمامهم خيار آخر أن يقولوا إن هذا الحديث الذي جئت به يامحمد صلى الله عليه وسلم أنت أتيت به من نفسك فيكون الرد عليهم إن كان هذا القول جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم من عنده فأنتم أبناء عمومه كلكم عرب كلكم فصحاء بلغاء فإن كنتم تزعمون أن محمدا جاء به من عنده فأتوا أنتم بمثله من عندكم.ولذلك قال جل وعلا(أم يقولون تقوله بل لايؤمنون*فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) لوكان جهدا بشريا لأمكنكم أن تأتوا بمثله (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) بقي ذكر الله خيارا آخر قال الله عندما ينكرون عليك أنك تقول لهم أن الله لارب غيره ولاإله سواه فسألهم(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) فإنه ليس ثمت إلاافتراضات ثلاث .أولاً:ـ أن يكونوا خلقوا من غير شيء .ثانيا:ـ أو أن يكونوا هم خلقوا أنفسهم.ثالثا:ـ أو أن يكون خلقهم خالق هو الله .فأنت اسألهم هل هم خلقوا أنفسهم؟ هم يعترفون القرشيون أنهم لم يخلقوا أنفسهم ويعترفون أنهم ليسوا وجدوا هكذا وجدوا أنفسهم في الأحياء والشوارع والطرقات والمدن.وإنما نشؤا عن خلق من بعد خلق من آباء وأمهات .إذا لم يبقى من حيث التقسيم إلا الثالث وهو أن الله

جل وعلا خالقهم (أم خلقوا السماوات والأرض) معنى الآيه هل هم خلقوا السماوات والأرض؟ فإذا كانوا هم خلقوا السماوات والأرض لهم الحق أن يمنعوا النبوة منك لأنهم أصبحوا شركاء لله لكنهم هم يعترفون أنهم لم يخلقوا لا أرضا ولا سماء.(أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون) ذكر الله افتراضاً بعده قال (أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون) هل هم يملكون خزائن الله التي ينفق جل وعلا منها على عباده فيتسلط عليها فيمنعونك يامحمد ما أعطيناك من النبوة وهذا أيضاً ينكرونه هم يعلمون أنهم لايملكون خزائن الرب جل وعلا (أم هم المصيطرون) أي هل هم جبارون بحيث أنهم تسلطوا على رحمة الله فيصرفونها كيف يشاءون وهذا أيضاً غير واقع (أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بقيت فرضية وهو أن يكونوا لديهم طريق لديهم سبب إلى السماء، فصعدوا إلى السماء فثبت لهم من الوحي الذي فوق أنك لست بنبي فلذلك ينكرون عليك الأمر(أم له البنت ولكم البنون) أي أنهم هل الأمر كما يزعمون ؟ القرشيون نسبوا إلى الله البنات فرتكبوا بذلك محذورين....

المحذور الأول:ـ أنهم نسبوا إلى الله الولد،والولد يطلق على الذكر والأنثى والله منزه عن الولد والمحذور الثاني:ـ أنهم مع إجرامهم وإفكهم نسبوا إلى الله الولد لم يردوا بأن ينسبوا إلى الله أفضل الولدين نسبوا إلى الله أدنى الصنفين فخصوا أنفسهم بالبنين وخصوا الله جل وعلا بالبنات فلهذا صار في الآية محذوران "أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون"أنت لاتطلب أجراًعلى دعوتك ولا على تبليغ رسالة الله حتى يصبح ذلك عائقاً لهم عن استجابة الدعوة إلى الله "أم عندهم الغيب"اطلعوا على اللوح المحفوظ فعلموا أنك لست بنبي وهذا أيضا محال "أم يريدون كيدا"هل يريد بذلك أن يكيدوا لك؟هذا إن فعلوه فإن الله يقول"ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله"ولذلك قال الله جل وعلا"أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون "وقد وقع هذا أنهم كادوا النبي فقتلوا يوم بدر."أم لهم إله غير الله"وهذه أجاب الله تبارك وتعالى عنها فنزه الله تبارك وتعالى ذاته العلية أن يكون له شريك أو أن يكون له ندا أوأن يكون له نظير أو أن يكون هناك إله يدبر الأمر ويصرفه غيره جل وعلا فقال تبارك وتعالى"أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون"والمؤمن لا يفزع قلبه لشيء إلا أعظم من فزعته من أحد يتخذ من دون الله تبارك وتعالى نداً ويدعى أو يرجي أو يهاب أو يخاف من غير الله أو شخص يتوسل إلى أحد يظن أن بيديه نفعا وضرا أو أن

يكون في قلبك ناس ترجوهم تتمنى أن يكثروا سوادا أو جماهير أو محبين تجعلهم أحب إلى قلبك من حب ربك تبارك وتعالى إليك أو قوما تخاف بطشتهم أو همزهم أو لمزهم تخافهم أكثر من الله، المؤمن الحق ليس في قلبه أحد يهابه ويخافه ويرجوه ويأمن عليه ويعتمد عليه ويتوكل عليه ويؤمن به ويستعين به ويستغفره يرجوه لرحمته... يرجوه لرهبته... ويرجوه لرغبته غير ربه تبارك وتعالى، فالله لما ذكر هنا في رده على أهل الإشراك (أم لهم إله غير الله) لم يقل الله ليس لهم جاء بإجابة أعظم فقال الله تبارك وتعالى(سبحان الله عما يشركون) فنزه الله ذاته العليه أن يكون له شريك لارب غيره ولا إله سواه، ولهذا كان التوحيد من أعظمماينجي العبد يوم القيامه فمن عظم توحيده عظمت نجاته يوم القيامه قال صلى الله عليه وسلم (إن الله سيخلص رجلا من أمتي يوم القيامه على رؤوس الخلائق ينشرله تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيقول له الرب أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول الله له أتنكر مما ترى شيئا فيقول لا يا رب فيقول الله جل وعلا إن لك عندنا بطاقه فيقول يارب فيها أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يا رب وما تغني هذه البطاقه أمام هذه السجلات فتوضع البطاقه في كفه والسجلات في كفه قال صلى الله عليه وسلم فرجحت البطاقه وطاشت السجلات ولايثقل مع اسم الله جل وعلا شيء)وهذا عبد قال العلماء رغم معاصيه ملأ قلبه توحيدا لله وخوفا ورجاء ومحبتا منه جعلنا الله وإياكم ممن يملأ قلبه بتوحيد ربه تبارك وتعالى.بعد هذه القضايا التي أخبر عنها ربنا جل وعلا قال الله تعالى في ختام الآيه (وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم) من كتبت عليه الضلاله لايمكن أن يهتدي والشخص والعياذ بالله إذا طبع على العناد لايقبل الحق وإن كان جليا لأن من الناس من يسأل وهو يريد إجابة معينة قبل أن يسألك فإذا أجبته أنت بخلاف مايريد لم يقبلها فالله جل وعلا يقول عن أمثال هؤلاء (وإيرواكسفا) قطعة من العذاب نازله عليهم ساقطه من السماء ماذا يقولوا؟ يخرجونها يؤلونها ميمنة وميسره يقولوا سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضه على بعض فنزل إلى الأرض لأنهم طبعوا على العناد. (وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم)فقال الله لنبيه (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) وهذه الآيه منسوخة بآية السيف في براءة. (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا) كيدهم في الدنيا قد يغني عنهم شيئا بسيطا بأنهم يمتعون إلى حين إلى أن يأتي العذاب . لكن يوم

القيامه قال الله (يوم لايغني عنهم كيدهم شيئا ولاهم ينصرون)
ثم قال سبحانه (وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك) هذه (دون)
تحتمل أمرين.أولا:ـ زماني .ثانيا:ـ ونوعي. والآية تحتمل الأمرين
لاتعارض بينهما زماني ونوعي . أما معنى زماني ونوعي .الله
تكلم عن عذاب الآخره ثم قال (وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك
) (دون ذلك) يعني قبل ذلك أي قبل يوم الآخره وأقل من ذلك
أقل من عذاب؟ أقل من عذاب الآخره. متى يقع هذا؟ يقع زمنا
قبل الموت وفي عذاب القبر ويقع نوعا أن تصيبهم الأوجاع
والأسقام وتشريد المؤمنين لهم وعذاب القبر هذا كله يقع زمنا
قبل القيامه وهو في نفس الوقت أقل من عذاب يوم القيامه
(وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لايعلمون) فلما
أنهى الله جل وعلا دمغ حجج أهل الكفر. بشر نبيه وأمره
بالاستعانة بأمرين قال له (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح
بحمد ربك حين تقوم*ومن اليل فسبحه وإدبار النجوم) فأمر
الله نبيه بأمرين حتى يعان على الدعوه ....
الأول منهما:ـ الصبر.
والثاني:ـ التسبيح بحمد الله . فأما الصبر فإنه قلما أولا يمكن أن
يدعوا أحد إلى الله حتى يؤذى فأمره الله جل وعلا باالصبر على
ماينالهِ من أذى المشركين وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
صابراً ولذلك عد من أول أولى العزم من الرسل الذين كانت لهم
مواقف صبر غلبت على غيرهم من الأنبياء عليهم السلام جميعاً
وهو عليه الصلاة والسلام أوذي فقال رحم الله أخي موسى أوذي
أكثر من هذا فصبر وأراد الله أن يبين لنبيه قربه منه ونصرته إياه
فقال (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا)ومعنى الأيه أي على منظر
ومرأى من الله فإن الله يراك ويسمعك ويؤيدك وينصرك
ويحفظك ويحرسك ويعينك ويوفقك. (واصبر لحكم ربك فإنك
بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم * ومن الليل فسبحه وإدبار
النجوم) ذكر الله ثلاثة مواضع ....
الموضع الأول:ـ إدبار النجوم ..
الموضع الثاني:ـ ومن الليل أي بعض الليل ..
الموضع الثالث:ـ وحين تقوم ..
أما حين تقوم فاختلف العلماء فيها . فذهب ابن مسعود رضي
الله عنه إلى عند ما تقوم من مجلسك .وبعضهم قال عند ما
تقوم من النوم والذين قالوا عندما تقوم من النوم يؤيده ما روى
البخارى في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قال (من تعار من
الليل ـ أي أوقظ إما بصوت أو بغيره قام من الليل يسميه الناس
الأن أصابه قلق ـ من تعار من الليل فقال لاإله إلاالله وحده

لاشريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على شيء قدير الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولاحول ولاقوة إلا با لله ثم قال اللهم اغفرلي أودعى أستجيب له فإذا توضأ وصلى قلبت صلاته) والحديث كما قلت في البخاري هذا معنى حين تقوم وقلنا ومن الليل وإدبار النجوم اختلف العلماء فيها وأظهر الأقوال أن القصود بها ركعتي الصبح القبليه التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهما (ركعتا الفجر ـ أي سنة الفجر ـ خير من الدنيا وما فيها) هذا أيها المؤمنون ماتهيأ إيراده وقوله حول سورة الطور نفعنا الله وإياكم بما قلناه وجعلنا الله وإياكم ممن يستمعوا القول فيتبعوا أحسنه..

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .